أفعال التضرُّع المُعبرة عن الاتضاع بين اللغة المصرية القديمة والقبطية من خلال كتابات البابا ثيؤدسيوس الأول القبطية في القرن السادس الميلادي

مريم ماهر يوسف ناروز
باحث دكتوراة – كلية الآداب –جامعة المنيا

مقدمة:

اهتمت حركة **الترجمة** الأدبية القبطية اهتماماً واضحاً بالعظات وسير الشهداء والقديسين من غير المصريين. وفيما يتعلق بالعظات القبطية كان المعيار الأساسي في اختيار النص المُراد ترجمته هو المُحتوى في المقام الأول وليس المؤلِّف.[١] فكان هناك مَيل للعظات الأخلاقية والنسكية التي تهمُّ قطاعاً واسعاً من الأقباط،[٢] بل كان الاهتمام الرئيسي للواعظ القبطي هو رفع المستوى الأخلاقي لجمهور المصلين،[٣] الذين تُلقى عليهم العظات في أيام المناسبات الكنسية أو أعياد القديسين.

وقد كان **الاتضاع** من أهم الفضائل الروحية التي حرص الأدباء الأقباط على إبرازها في النص، سواء كانت العبارات تُقال على كاتب النص أو على لسان الشخص الذي تُلقى سيرته على الشعب، وقد تنوَّعَت طُرق التعبير عن الاتضاع في العظات المحفوظة بالقبطية المنسوبة للبابا ثيؤدسيوس الأول ما بين التواضع **بأسلوب مباشر** باستخدام صفات بعينها تُعبِّر عن اتِّضاعه الشديد أو بأساليب أخرى مثل **أسلوب الاستفهام** بغرض إنكار الذات والابتعاد عن التباهي. و**أسلوب النفي** بأكثر من طريقةٍ؛ نافياً عن نفسه الصفات قد التي ترفع من شأنه أو تمجده في أعيُن الآخرين. وقد كان أيضاً **التضرع والتوسُّل** إلى الله أو طَلب شفاعات القديس الذي تُروي قصته في العظة أسلوباً من أساليب تعبيره عن اتضاعه.

الكلمات الدالة: الأدب القبطي – اتضاع – تّضرُّع – البابا ثيؤدسيوس الأول – القرن السادس الميلادي.

التعريف بالكاتب البابا ثيؤدسيوس (حوالي ٥٣٦ـ٥٦٧م):

هو البطريرك رقم ٣٣ من بطاركة الإسكندرية، وكان خَلَفاً للبابا "تيموثاوس"،[٤] وقد رفض الاعتراف بتعاليم مجمع خلقيدونية فتم نفيه لفترة طويلة من مدة رياسته على الكرسي البطريركي والتي امتدت لحوالي اثنتين وثلاثين سنةً قضى أغلبها بالقسطنطينية، وقد قاد كنيسته بالمُراسلات حين كان مُحتَجَزاً في منفاه داخل القسطنطينية أو بالقرب منها، وقد كان إيمانه الوحداني صادقاً وثابتاً احتفظ به حتى نهاية أيامه بينما كان يعيش وسط الخلقدونيين في منفاه،[٥] وتنيح حوالي ٥٦٦/٥٦٧م.[٦] وكان مُلماً بالعادات الوعظية التقليدية ومُدرَّباً على المهارات البلاغية.[٧]

مصادر الدراسة:

بقي من الأعمال المنسوبة للبابا "ثيؤدسيوس الأول" العديد من العظات والرسائل في موضوعات متنوعة، بعضها بالسريانية مثل: (عظة عن يوم أربعين صعود الرب، وعظة عن قول السيد المسيح "يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس"، بالإضافة إلى (رسائل ومقالات لاهوتية وقانونية ومجمعية، وغيرها)،[٨] وترك أيضاً عظات أخرى محفوظة في ترجمة قبطية،[٩] وبعضها في ترجمة عربية عن: (الثالوث، الصوم، السامري الصالح، وأحد السعف، الإفخارستيا، ورسالة إلى الإسكندريين).[١٠]ومن العظات المحفوظة بالقبطية له: عظة عن **السنة الجديدة** وما تبقى منها عبارة عن شذرات.[١١]

هذا بالإضافة إلى عظة عن **يوحنا المعمدان** بالصعيدية،[١٢] وأيضاً "**أربع شذرات إضافية باللهجة الصعيدية من مديح يوحنا المعمدان المنسوب إلى ثيؤدسيوس**"،[١٣] ونسخة أخرى بالبحيرية، بعنوان "**عظات قبطية في مكتبة الفاتيكان**":[١٤]

وأيضاً عظة عن **عجائب رئيس الملائكة ميخائيل**،[١٥]الذي له مَكانة مُهمَّة في التقليد القبطي المسيحي، فقد ارتبط بالأساقفة والبَطَارِكة في النَّفي، وقد أصبح التضرُّع إليه احتياج باعتباره الملاك الحارس الذي يساند الأسقف أو البطريرك في معاناته من أجل الإيمان القويم في المِنفَى، وذلك الدَّور أشْبَه بدوره في ساحة الاستشهاد حيث يَشْفِي الشَّهيد من جراحاته وآلامه.[١٦] وقد نُشر النصّ بالصعيدية في:

Wallis Budge, Ernest Alfred Thompson. *Miscellaneous Coptic texts in the dialect of Upper Egypt*. Vol. 5. British Museum, 1915.

وبالبحيرية في:

Wallis Budge, Ernest Alfred. *Saint Michael the Archangel: Three Encomiums by Theodosius, Archbishop of Alexandria, Severus, Patriarch of Antioch, and Eustathius, Bishop of Trake; the Coptic Texts with Extracts from Arabic and Ethiopic Versions, Edited with a Translation*. K. Paul, Trench, Trübner & Company, Limited, 1894.

هذا بالإضافة إلى عظة عن **نياحة وإصعاد جسد العذراء مريم** بعنوان "**عظة لثيؤدسيوس بطريرك الإسكندرية عن نياحة وإصعاد العذراء**"،[١٧] لم تصل كاملة لآخرها.[١٨]

أفعال التضرُّع:

أولاً: فعل التضرع ⲥⲟⲡⲥⲱ "**يترجى، يلتمس، يطلب**":

يعبِّر الفعل ⲥⲟⲡⲥⲱ عن معاني الاستِعْطَاف والالتِمَاس والتَرجِّي والإلْحَاح والطَّلب،[١٩] وهذا الفعل مشتق من الفعل المصري القديم ***spr*** ثم اختُصر الصوت الأخير r حيث كُتب لأسبابٍ خَطيَّة لضبط تنسيق كتابة الفعل.[٢٠] وفي الديموطيقية sōpe ونُطق ***spsp*** ,***spy*** ,***spỉ***،[٢١] وفي اللَّهجات القبطية كُتب ⲥⲟⲡⲥⲡ في الصعيدية، و

ⲥⲟⲡⲥⲉⲡ, ⲥⲟⲃⲥⲉⲃ وⲥⲁⲡⲥⲡفي الأخميمية وشبه الأخميمية والفيومية، وأيضاً ⲥⲡⲥⲡ في الأخميمية، في البحيرية.[٢٢]

يذكر النصّين محل الدراسة العجائب التي صنعها رئيس الملائكة ميخائيل مع الزوجين "دوروثيؤس" و"ثاؤبستي"، فقد تعرَّض "دوروثيؤس"[٢٣] لضائقة كبيرة فأصبح لا يملك شيئاً يقدمه كصدقات في اليوم الثاني عشر من كل شهر قبطي الموافق عيد رئيس الملائكة "ميخائيل"،[٢٤] ولما لم يكن له شيئاً سوى رداءه ورداء زوجته قرَّر أن يبيعهما ويتصدق بثمنهما، وإذ ذَهَب إلى الكنيسة يبكي ويتضرَّع، ظهر له رئيس الملائكة مع جنده يقويه، وأمره أن يذهب إلى صاحب أغنام وأخذ منه خروفاً بثلث دينار، وإلى صياد ليأخذ سمكة بثلث دينار وهكذا مع بائع القمح، حتى لا يبيع ثيابه هو وزوجته ويجد ما يصنع به صدقات في يوم عيد رئيس الملائكة، وقد طمأنهما بأن صدقاتهما مقبولة أمام الله.

وفي الوقت الذي تعرض فيه "دوروثيؤس" لتلك الضائقة، ذهب إلى الكنيسة يصلي باكياً متضرعاً، سائلاً المعونة والشفاعة من رئيس الملائكة، بتعبيرات تؤكد ثقته في شفاعة رئيس الملائكة مُتحدثاً باتِّضاعٍ شديد، وقد استخدم كاتب النص في صلاة "دوروثيؤس" فعل التَّضَرُّع ⲥⲟⲡⲥⲡ̄ الذي تكرر بشكلٍ ملحوظٍ في النصّ الصعيدي لعجائب رئيس الملائكة، فيقول عن "دوروثيؤس":

(S.) ⲉⲩⲥⲟⲡⲥⲡ̄ ⲙ̄ⲡⲛⲟⲩⲧⲉ ⲫ̄ ⲡⲉⲩⲫⲏⲧ ⲧⲏⲣⲩ ⲉⲩⲭⲱ ⲙ̄ⲙⲟⲥ ⲭⲉ ⲡⲁⲣⲭⲏⲁⲅⲅⲉⲗⲟⲥ ⲙⲓⲭⲁⲏⲗ ⲡⲁⲡⲣⲟⲥⲧⲁⲧⲏⲥ ⲁⲫⲉ ⲣⲁⲧ̄ⲕ ⲙ̄ⲛ̄ ⲡⲉⲕⲫⲙ̄ⲫⲁⲗ ⲙ̄ⲡⲟⲟⲩ.[25]

متضرعاً إلى الله بقلبه كله قائلاً: يا رئيس الملائكة شفيعي قف مع عبدك اليوم.

فيطلب ويتضرَّع إلى رئيس الملائكة أن يقف معه في ذلك اليوم مُتضعاً داعياً نفسه بـ"العبد". ولم يستخدم فعل التَّضرُّع في النص البحيري بل استُبدل بعبارة تصف حالة "دوروثيؤس" وقت الصلاة ⲛⲁⲩⲙⲏⲛ ⲉⲩⲱⲗⲏⲗ أي "بقى مصلياً"، فقد استمر في الصلاة لوقت ليس بقليل يتضرع ويطلب ويلتمس المعونة في ضائقته، باتضاعٍ. وقد استُخدم هذا الفعل أيضاً للغرض ذاته في سيرة الشهيد "إيلياس" التي كتبها "إسطفانوس أسقف إهناسيا"[٢٦] (زمن البابا ثيؤدسيوس ٥٣٦-٥٦٧م تقريباً).[٢٧] وأيضاً في قوانين موسى الراهب (٥٣٦-٥٦٧م تقريباً).[٢٨]

ثانياً: التضَرُّع باستخدام "يترجى، يلتمس، يطلب":

الفعل ⲡⲁⲣⲁⲕⲁⲗⲉⲓ من أصل يوناني بمعنى "التَمَسَ، تَرَجَّى، أستعطَفَ"،[٢٩] ويُكتب باليونانية Παρακαλέω،[٣٠] وقد استُخدم بكثرة في كتابات البابا ثيؤدسيوس الصعيدية والبحيرية، كما في صلاة "دوروثيؤس " وزوجته "ثاؤبستي" بعدما ظهر لهما رئيس الملائكة، فيقول الكاتب:

(B.)…ⲕⲱϯ ⲛ̀ⲧⲉⲛ ϕϯ ⲛ̀ⲧⲉⲩⲉⲣⲟⲩⲛⲓⲱϥϯ ⲛ̀ⲛⲁⲓ ⲛⲉⲙⲁⲛ ⲟⲩⲟⲩⲉ ⲛ̀ⲧⲉⲩⲟⲗⲧⲉⲛ ⲉ̀ⲃⲟⲗϧⲉⲛ ⲡⲁⲓⲃⲓⲟⲥ ⲛ̀ⲉϥⲗⲏⲟⲩ ⲙ̀ⲫⲣⲏϯ

اسأل الله عنا ليصنع معنا رحمة عظيمة ويرفعنا من هذه

(S.)ⲛⲓ̄ ⲡⲁⲣⲁⲕⲁⲗⲉⲓ̈ ⲙ̄ⲡⲛⲟⲩⲧⲉ ⲡ̄ⲣⲣⲟ ⲛ̄ⲣ̄ⲣⲱⲟⲩ ⲉⲧⲃⲏⲏⲧⲛ̄ ⲛⲩⲣ̄ ⲡⲛⲁ ⲛⲙⲙ̄ⲁⲛ ⲛⲩ̄ⲡⲟⲟⲛⲉⲛ ⲉⲃⲟⲗ ⲫ̄ ⲙ̄ⲡⲉⲓⲃⲓⲟⲥ ⲕⲁⲧⲁ ⲟⲉ

تَوَسَّل إلى الله ملك الملوك من أجلنا أن يصنع معنا رحمة وأن ينقلنا من هذه السيرة مثل

السيرة الباطلة.	ⲛⲛⲉⲛⲓⲟϯ ⲧⲏⲣⲟⲩ.[31]	آباؤنا أيضاً كلهم.

ⲉⲱⲟⲩ[32] ⲛ̄ⲛⲉⲛⲉⲓⲟⲟⲧⲉ ⲧⲏⲣⲟⲩ.[33]

يَطلب الزوجان "دوروثيؤس" و"ثاؤبستي" من رئيس الملائكة أن يشفع عنهما أمام الله ليصنع معهما رحمة، وأن يريحهم ويرفعهم من هذه الحياة الباطلة، بعد أن ذاقا الحُزن والأَلَم لما ضاق بهما الحال ولم يجدا ما يقدمانه للفقراء في يوم تذكار رئيس الملائكة، وقد استخدما في تضرعهما الفعل παρακαλεῖ في الصعيدية والفعل ⲕⲱϯ ⲛ̀ⲧⲉⲛ الذي يُستخدم في البحيرية فقط ويؤدي أيضاً معنى التَّضَرُّع: "نطلب مِن..." أو نسأل مِن..."،[٣٤] والفعلان بغرض التضرع والتّوَسُّل والطَّلَب، بغرض الاتِّضاع وعدم التباهي بأعمالهما الصالحة.

وقد استُخدم فعل التوَسُّل والتَضرُّع ϯπαρακαλεῖ ⲙ̄ⲙⲟⲕ "أستعطفك، أترجاك، ألتمس منك".[٣٥] مُضافاً له الضمير الشخصي المنفصل ⲙ̄ⲙⲟ في سيرة "الشهيد أولمبيوس" التي كتبها "موسى أسقف إدكو" (٦٣٦ – ٥٦٧م تقريباً).[٣٦]

وفي الحالتين يعبر الكاتب عن الاتِّضاع الشديد بالإفصاح عن الحاجة والتَضَرُّع والتَوَسُّل والطَّلَب، فـ"دوروثيؤس" يحتاج شفاعة رئيس الملائكة ليسأل الله عنه ليقبل تقدماته وذبائحه.

ثالثاً: التضَرُّع باستخدام ″ϯπαρακαλεῖ ⲙ̄, ⲙ̄ⲙⲟ و ⲧⲧϩⲟ ⲉ̀ⲣⲟⲕ **"أسألك، أتوَسَّل إليك، أتضَرَّع إليك**:

استخدم الكاتب أيضاً في النصين الصعيدي والبحيري الفعل ϩⲧⲟ المُساوي في المعنى للفعل παρακαλεῖ، والفعل ϩⲧⲟ يُستخدم في الصعيدية والبحيرية بمعنى "سَألَ، تَوَسَّلَ، تَضَرَّعَ"،[٣٧] وإذا تَبِعه حرف الجر ⲉ̀ ثم المفعول به يعني "سَأَلَ"، وقد حلَّ الفعلان محل بعضهما البعض في كتابات البابا ثيؤدسيوس على النحو الآتي في النصين الصعيدي والبحيري لعجائب رئيس الملائكة ميخائيل:

(B.)ⲁⲛⲟⲕ ⲧⲧϩⲟ ⲉ̀ⲣⲟⲕ ⲱ̀ ⲘⲒⲭⲁⲏⲗ ⲡⲓⲣⲉϥⲧⲟⲧϥ ⲱⲱⲡ ⲉ̀ⲣⲟⲕ ⲛ̀ⲧⲁⲑⲩⲥⲓⲁ̀ ⲉⲧⲟⲓ ⲛ̀ⲕⲟⲩⲭⲓ.[38]	أسألك يا ميخائيل المعين، اقبل إليك ذبيحتي الصغيرة.
(S.) ϯπαρακαλεῖ ⲙ̄ⲙⲟⲕ ⲱ̄ ⲡⲁⲣⲉϥⲧⲟⲟⲧ ⲙⲓⲭⲁⲏⲗ ϫⲓ ⲛ̄ⲧⲟⲟⲧ ϩⲱⲱⲧ ⲙ̄ⲡⲁⲧⲱⲃϩ̄ ⲙⲛ̄ ⲡⲁⲥⲟⲡⲥⲏ̄ ⲉⲧⲉ ⲡⲁⲕⲟⲩⲓ ⲛ̄ⲁⲱⲣⲟⲛ ⲡⲉ ⲉⲧⲥⲟϫⲃ̄.[39]	ألتمس منك يا معيني ميخائيل ساعدني اقبل طلبتي وتوسُّلي الذي هو تَقدمتي القليلة الحقيرة.

فاستخدم الكاتب هنا صيغة ϯπαρακαλει ⲙ̄ⲙⲟⲕ أي "أتوَسَّلُ إليكَ، أتَضَرَّعُ إلّيكَ" في النص الصعيدي، بينما استخدم الصيغة المرادفة ⲧⲧϩⲟ ⲉ̀ⲣⲟⲕ "أسْأَلُكَ" في النص البحيري، والحديث هنا على لسان "دوروثيؤس" واَصفاً نفسه بأنه خاطئ وضعيف جداً في أعماله بالرغم من أنه رجلٌ بارٌ هو وزوجته يحرصان على إرضاء الله، مُلتزمين بالتَقْدمَات والصَّدَقَات، ولكنه لم يتوقف عن التّضَرُّع والتوَسُّلِ ليشفع عنه رئيس الملائكة فتُقبَل تقدماته وأعماله الصالحة.

تعليق:

بقيت فكرة الاتِّضَاع والتَّعبُّد بخشوعٍ للإله في فكر الإنسان المصري في جميع العصور، فقد حافظ على استخدام أفعال التَّضّرُّع مع تطوُّر اللغة ومرورها بأكثر من مرحلة. كما اهتمَّ باللغة اليونانية وبالمعاني الدقيقة لمفرداتها ومقابلاتها في القبطية.

تُبَيّن دراسة النصوص الأدبيَّة في القرن السادس الميلادي أن كُتَّاب هذه النصوص بشكلٍ عام كانوا على معرفة جيدة باللغة القبطية وبكتابات بعضهم البعض وبالأخص كتابات البابا البطريرك الذي كان يخاطبهم من منفاه في القسطنطينية، وقد راعى في رسالاته تثبيت الشعب على الإيمان الأرثوذكسي مواجهاً لتعاليم مجمع خلقيدونية، ويبدو أنه حقق هدفه بالفعل حيث تأثَّر أُدباء فترته بأساليبه الأدبية واقتباساته من آيات الكتاب المقدس والفضائل الروحية التي كان يهدف إلى ترسيخها عند الشعب ومنها فضيلة الاتِّضاع.

من خلال دراسة النصوص القبطية المنسوبة للبابا ثيؤدسيوس الأول، يمكن مُلاحظة بعض السِّمات عند كاتب هذه النصوص، فيبدو أنه على معرفة جيدة باللهجتين القبطية الصعيدية والقبطية البحيرية، ولديه دراية بالمعاني الدقيقة لكل كلمة ومرادفاتها. ويُلاحَظ أيضاً أنه على معرفة جيدة بقواعد اللغة القبطية وأزمنة الأفعال وحروف الجرّ التابعة لبعض الأفعال لتعطي معاني أكثر دقةً وعمقاً، فهو لديه القدرة على استخدام الأفعال في موضعها المناسب في النص بمهارة، وتصريفها في أزمنة مختلفة ومع ضمائر مختلفة للتعبير عن المعنى المقصود بوضوح.

حواشي البحث

[1]T.Orlandi, Coptic Literature, in: ***CE*** vol. VIII, 1450-1460.

[٢] صموئيل معوض: إطلالات على تراث الأدب، صـ٣٠.

[3] M. Sheridan, Rhetorical Structure in Coptic Sermons, p.200.

[٤] ومعاصراً للامبراطور "جستنيان الأول" والإمبراطور "جستنيان الثاني".

[5]Marius Chaîne, "Le manuscrit de la version copte en dialecte sahidique des" Apophthegmata Patrum"." *Bibliothèque d'études coptes* (1960), 274.

[6]Hardy, Edward R., "Theodosius I," ***CE***, vol. vii, 2241a-2241b.

وللمزيد عن البابا ثيؤدسيوس راجع:

-Grillmeier, Aloys, et als. *Christ in Christian Tradition: From the Council of Chalcedon (451) to Gragory the Great (590-604)*. Vol. 2. Westminster John Knox Press, 1986, 46-49, 53-59.

وعن كتاباته اليونانية أو السريانية أو المحفوظة في ترجمة قبطية أو عربية ، راجع:

- Geerard, Mauritius *Clavis Patrum Graecorum*, vol. III." Turnhout: Brepols 1979, N. 7130-7159.

–أثناسيوس المقاري: فهرس كتابات آباء كنيسة الإسكندرية–الكتابات القبطية، صـ٢٨٨، أثناسيوس المقاري: فهرس كتابات آباء كنيسة الإسكندرية–الكتابات اليونانية، صـ٦٠٥–٦٢١.

[7] Sheridan, Mark "The encomium in the Coptic literature of the late sixth century." *Christianity in Egypt, Literary production and intellectual trends, studies in honor of Tito Orlandi*, P. Buzu and A. Complani, Studia Ephemeridis Augustinianum 125, Roma: Institutum Patristicum Augustinianum 2011, p. 443-464.

[8]Geerard, *Clavis Patrum Graecorum III*, N. 7130-7149.

[9]Geerard, *Clavis Patrum Graecorum III*, N. 7150-7153.

[10]Geerard, *Clavis Patrum Graecorum III*, N. 7154-7159.

[11]Geerard, *Clavis Patrum Graecorum III*, N. 7150.

تم الإشارة أيضاً إلى هذه العظة عن السنة الجديدة في:

Kuhn, Karl Heinz. "A Panegyric on John the Baptist Attributed to Theodosios Archbishop of Alexandria." *CSCO* 268 (1966), iv-v.

[12] Kuhn, Karl Heinz. "A Panegyric on John the Baptist attributed to Theodosios Archbishop of Alexandria." *CSCO* 268 (1966) 1-68.

[13] Kuhn, Karl Heinz. "Four Additionnal Sahidic Fragments of a Panegyric on John the Baptist attributed to Theodosius, Archbishop of Alexandria." Le *Muséon* 96 (1983) 251-265.

[14]Geerard, *Clavis Patrum Graecorum III*, N. 7151, De Vis, Henri. *Homélies coptes de la Vaticane: Texte copte publié et trad*. Gyldendalske Boghandel-Nordisk Forlag, 1922, 1929.

[15]Geerard, *Clavis Patrum Graecorum III*, N. 7152.

[16] للمزيد راجع: Youssef, Youhanna Nessim. "The Archangel Michael and the patriachs in exile in the Coptic tradition." *Actes du Huitième congrès international d'Études Coptes,* Paris 28 juin-3 juillet, 2004, N. Bosson et A. Boud'hors (eds), *Orientalia Lovaniensia Analecta* 163, Leuven – Paris-Dudley, Peeters 2006, 645-656.

[17]Geerard, *Clavis Patrum Graecorum III*, N. 7153.

[18] Chaîne, Marius, « Sermon de Théodose, Patriarche d'Alexandrie sur la dormition et l'assomption de la Vierge, » *Revue de l'Orient Chrétien* 29 (1933-1934), 273-313.

أشار Chaîne إلى أن الفحص الباليوجرافي للمخطوطة يضع تاريخ نساختها في القرن العاشر الميلادي، وقد صنف بعض المؤلفين هذا النص أنه أبوكريفا، وذلك حسب:

Dictionnaire de Théologie Catholique. Article: Monophysile (Église copte), 2267.

[١٩] معوض داود: قاموس اللغة القبطية، صـ٣٨٩،

–Crum, Walter Ewing, *A Coptic Dictionary*, Oxford, 1939, 352a.

[20] Vycichl, Werner, *Dictionnare Étymologique de la Langue Copte*, Leuven, 1983, 194.

[21] Westendorf, Wolfhart, *Koptisches Handwörterbuch*, vol.I, Heidelberg, 1965/1977, 193.

- Černý, J., *Coptic Etymological Dictionary, London, 1976, 160.*

[22] Crum, Walter Ewing, *A Coptic Dictionary*, 352b.

[23]Forget, Iacobus, "Synaxarium Alexandrinum/1,[1], Textus/ed. I. Forget." *Synaxarium Alexandrinum* (1905).

[٢٤]للمزيد عن أسباب تحديد موعد بعض التذكارات الكنسيَّة راجع:

Youssef, Youhanna Nessim. "De nouveau, La Christianisation des Dates des Fêtes de l'Ancienne Religion Égyptienne," ***BSAC*** 31 (1992) 109-113.

[25]Wallis Budge, Ernest Alfred Thompson. *Miscellaneous Coptic texts in the dialect of Upper Egypt*. Vol. 5. British Museum, 1915, 384.

[٢٦]"إهناسيا" هي إحدى مدن محافظة "بني سويف"، تقع على بحر يوسف، وكانت عاصمة للإقليم الحادي والعشرين من أقاليم الوجه القبلي، وتعرف باسم "إهناس"، و "إهناس المدينة" أو "إهناسيا المدينة"، و"أم الكيمان" نظراً لما تضمه من أكوام أثرية كثيرة. للمزيد راجع: عبدالحليم نورالدين: مواقع الآثار المصرية القديمة منذ أقدم العصور وحتى نهاية عصر الأسرات المصرية القديمة، الجزء الثاني، مصر العليا، القاهرة، ٢٠٠٩، صـ١١-١٢.

[٢٧] راجع:

Sobhy, George P. *Le martyre de saint Helias et l'encomium de l'èvêque Stephanos de Hens sur saint Helias*, Bibliothèque d'Etudes Coptes 1. Le Caire, ***IFAO***, 1919, 122.

[٢٨] راجع:

Coquin, René-Georges. « La Règle de Moïse d'Abydos. » Mélanges Guillaumont, Cahiers d'Orientalisme 10 Genève : Patrick Cramer 1988. 103-110.

[٢٩] معوض داود: قاموس اللة القبطية، صـ٨٧٨،

-Cherix, Pierre, *Index Grec – Copte*, Bex, août, 2010, 123.

[30] Lampe, G.W. H, A Patristic Greek Lexicon, Oxford, 1961, 1017.

[31]Wallis Budge, *Saint Michael the Archangel*, 30.

[٣٢] وتُكتب أيضاً في الصعيدية ⲞⲨⲰⲰⲞⲨ وتُترجم: (هُم) أيضاً، راجع: معوض داود: قاموس قبطي عربي، صـ٧١٩.

[33]Wallis Budge, *Miscellaneous Coptic Texts*, 371.

[٣٤] معوض داود: قاموس قبطي عربي، صـ١١٥.

Crum, *A Coptic Dictionary*, 125b.

[٣٥] معوض داود: قاموس اللغة القبطية، صـ٨٧٨.

[٣٦]راجع: معوض داود: قاموس اللغة القبطية، صـ٨٤٠.

Lefort, L-Th. "Un martyr inconnu, S. Olympios." *Le Muséon* 63 (1950): 1-23.

[37]Crum, *A Coptic Dictionary*, 648b.

[38]Wallis Budge, *Saint Michael the Archangel*, 59.

[39]Wallis Budge, *Miscellaneous Coptic Texts*, 417-418.